



ليس الحديث عن الفتن الكبار التي تصيب المسلمين عامة، أو التي ذكرت في الأحاديث من علامات الساعة، ولكن عن الفتن التي تكون نتيجة الغفلة عن مكائد الأعداء، أو الغفلة عن المنافقين أو عن الانتهازيين أصحاب المصالح الخاصة الذين يخدعون الناس بلسانهم أو ببعض أعمالهم ويدعون الطيبين من المسلمين خاصة.

إن من يتبع أحوال المؤسسات والتجمعات سيلاحظ أن كثيراً من الفشل أو الضعف الذي يحيط بتجمعات المسلمين أو أنشطتهم وأمورهم العامة سببه هذا الصنف من الناس الذي يتقن أساليب الخداع، والظهور بمظهر الحرirsch والجاد بل والمتفاني في سبيل المشروع أو المؤسسة، وهو صنف يستطيع الدخول في تجمعات ذات أهداف نبيلة وكبيرة، ومن داخل هذا التجمع يبدأ في التخطيط والعمل لأهدافه ومشاريعه الخاصة، بل يحاول تسخير المؤسسة أو التجمع لمصلحته الخاصة وبطريقة ذكية قد لا ينتبه لها أكثر الناس، وهنا يبدأ الخلل ويبدأ الاختلاف وتثار التساؤلات لماذا لاتسير الأمور كما يجب، بعض الناس لا يستطيع الاستمرار في مثل هذه الأجواء فينسحب من هذا العمل الذي هو في أصله عمل كبير ومفيد، وبعضهم يبقى على مرضض، وفي النهاية يضعف العمل وتضعف الآمال المرجوة أو يفشل العمل كله.

إنه من الواضح عندما يكثر الانتهازيون يضيع المخلصون والمجاهدون في الحق، وقد يصعب الوصول والتعرف على رفقاء الدرب القدامي الذين أسسوا وتبعوا.

كل هذا والسبب واضح وجلي وهو الغفلة عن هذه الفتنة، وإن النتائج المترتبة على هذه الغفلة ليست بالأمر البسيط، فقد جرّت قلة الفراسة بالرجال وقلة المعرفة بمواطن الخلل المصائب على المسلمين قديماً وحديثاً ألم يندفع بعض المسلمين بالحملة الدعائية ضد الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه، وكان ما كان من حادث مفعع ما تزال آثاره إلى الآن، ألم يندفع بعض الدعاة بشخصيات سياسية تبين بعد ذلك أنها يعكس ما أملوا وتصوروا.

عندما تحدث ابن خلدون عن أسباب تطرق الكذب للخبر ذكر منها الثقة بالناقلين دون تمحیص ودون رجوع لمبادئ الجرح والتعديل، وإذا كانت هذه الثقة دون تمحیص تؤدي إلى نقل الأخبار المكذوبة فإن الثقة بالانتهازي المتسلق تؤدي إلى كارثة.

لماذا يوصف أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأنه الباب الذي يصد الفتن ويمنعها؟ ذلك لمعرفته بالرجال، ومعرفته الدقيقة بأهل الشر ومن أين يأتي الشر، ومعرفته بالخير وأهل الخير، وهذا هو معنى كلامه: (ينقض الإسلام عروة عروة من نشأ في الإسلام ولم يعرف الجاهلية) قال ابن تيمية رحمه الله معلقاً على كلام أمير المؤمنين: "من عرف الشر وذاقه ثم عرف الخير وذاقه تكون معرفته بالخير ومحبته له ومعرفته بالشر وبغضه له أكمل من الذي لا يعرف إلا الخير، فقد يأتيه الشر فلا يعرف أنه شر، فإما أن يقع فيه وإما أنه لا ينكره كما أنكره الذي عرفه، ولهذا كان الصحابة أعظم إيماناً وجهاً ممن بعدهم لكمال معرفتهم بالخير والشر، وكمال محبتهم للخير وبغضهم للشر" (الفتاوى / 10/300)

وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد وصف لنا المنافقين في كثير من السور وصفاً وكأننا نراهم، فإن معرفة الانتهازيين المتزلفين ليس بالأمر الصعب، فالإنسان الذي يحب الجاه ويسعى للمناصب فإننا نراه يداور ويناور وسرعان ما ينكشف للناس، وكذلك الذي يحب جمع المال وهو حريص عليه، ولكن المشكلة أن أهل الخير يسكتون إما خجلاً أو لمصلحة يظنونها أو لعدم إدراكهم لخطورة أمثل هؤلاء الأشخاص وجودهم في التجمعات الإسلامية.

وأما الذين يعملون في السياسة من هذا النمط فإننا نجد الواحد منهم يتذلل لهذا ويستأسد على ذاك ويقفز من فرع إلى فرع ليصل إلى أعلى الشجرة، وهو بارع في استخدام حاسة الشم عن بعد، يعلم أين يجد المال والجاه، ويدبر المكائد للآخرين لبعدهم عن طريقه.

ألم ينكشف أمثل هؤلاء لأولي الأ بصار؟ بل يجب أن ينكشف، ويجب أن يبعدوا عن طريق الدعوة السليمة، لنحقق فيما جرى ويجري من مشاكل، وواقع الضعف في المؤسسات، وكيف وصل إلى مناصب عليا من يملك ذلة اللسان والاحتيال والكذب أحياناً أو من يملك المال ويزعجه على الأذالم . إن تهاؤن أهل الخير أو ضعفهم أو غفلتهم عن هذا الأمر هو سبب مصائب كثيرة في حياتنا.

المسلم

المصادر: